سفور النساء واختلاطهن بالرجال

وفوضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن، حتى غانيات باريس منهن، انهن لبسن ثياب الحداد، بعد رفولهن في تلك الأزياء، التي تقلدهن فيها سائر النساء، في جميع الارجاء، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات، وهن أولئك الفاتنات، الكاسيات العاريات، المائلات الميلات، اللواتي فتن قلوب الرجال، حتى صاروا يشدون اليهن الرحال، بل يطيرون اليهن على مراكب النار، في سباسب الارض وأجواز البحار، وتركن المراقص والملاهي والحانات، الى ساحات القتال والمستشفيات، والى دور الصناعة، وأعمال الزراعة، ليخففن عن أمتهن أثقال هذه الحرب الضروس، في هذا العصر العبوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر، وعدد الأمم والدول العسر، فكسدت غلات الزراعة، وتعطلت معامل الصناعة، ووقفت حركة التجارة، وقل الدرهم والدينار، وغلت أثمان الاشياء، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط ومجاعات، تتلوها فتن وأوبئة وثورات، وشعر المبذرون من أهل السعة والثروة، بوجوب الاقتصاد في النفقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعاقل، وتدمر المعابد والمنازل، وتل العروش، وتذهب باستقلال الشعوب، وتنذر أقوى الدول بأسا، وأشدهن بطشا، ذلا بعد عزة، وضعفا بعد قوة، وفقرا بعدا ثروة، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها، وأخرجت الارض أثقالها، وقال الانسان مالها، وما عسى ان يكون مآلها — انبرى نفر من الشبان والشواب، من المتفرنجين والمتفرنجات في هذه البلاد، يتبارون في تحبير المقالات، وإقامة الحجج والبينات، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات، على وجوب سفور النساء المصريات، واختلاطهن بالرجال في الملاهي والمجتمعات، وفي عامة الاحوال والاوقات. ليشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمنهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبسن منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسمون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فمرادهم ان المرأة في رقّ أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصدها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوّماتهم ومشخصاتهم الجنسية ، وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم ، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بألسنتهم .

النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنيهن طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادنتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لاتفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة بيبوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للتنزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهتكة .

وأما البرقع فهو زيّ اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي المعايب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس الكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :

لايحسب الغرُّ البراقع للنسا منعالهن عن التمادي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا

على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر سائرة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتخترقها أشعة

عيون الناس » ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متمماته ، وما هي الا من هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجيء به خصومهم من العبث بعادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التهتك. كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقارا له ، واستبدال المشخصات الافرنجية بالمشخصات الوطنية تعظيما لقدرها ، أو توهما أن تشبهنا بالافرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كمقوماتهم — وهو ماعز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنيتهم وقد انحطت همتنا عن اللحاق بهم في لبابها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا نقلدهم في هذه الظواهر القشرية فتزيا حكامنا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدريج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا ، وانتزاعهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا ، فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها ، يأخذها الممرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقها وصفاتها وعاداتها ، كالثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شيء من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدريج البطيء في الزمن الطويل

وجملة القول إن زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن فلما يوجد زي يفي بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الازياء عن آداب الاسلام وصيانته ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيانته منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحه — لانه من الحجاب الضار المذموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للآداب الدينية، وشرف الصيانة الاسلامية، والى استبداله بزي آخر يجمع بين الجمال والكمال، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال.

ان المقلد لاينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي

*

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجد الذي يؤبه له ويهتم به، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع، ماقلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزي، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك مافيه من الضرر أو النفع

لعل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ عشار $\frac{1}{1000}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يبعن في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب، والجهاد كله في سبيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات، وكذا في بعض البيوت. فالنساء المدنيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتجن اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره. ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات، أو يماشينهم في الطرقات، ومنهن السافرة عن وجهها. والمحاصرة لخدنها، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المخبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا، وان أخدانها من النساء (المحجبات)، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات، يعدون بالألوف لا بالمئات، دع ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبسن مدة سفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن، ويختلطن معهم أو منفردات عنهم بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقائهم من الرجال على

نسائهم في بيوتهم، ويأمرونهن بمجالستهم رموا كلتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همسا، ما أخجل ان أجهر به جهرا : ان المخادنة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت همّ الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب ؟

انما بقي شيئان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يخلو بامرأة أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوة بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الانفراد بها بزيارة أو غير زيارة . فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المتهتكين الا خفية .

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لايجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي ، الا من شذ

أما اباحة خلوة المرأة بالرجل إباحة مطلقة بغير نكير فلايكاد يذكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لايجدون شبهة يزينونها بها ، وانما يكثرون اللغط في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقي عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن ، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب . وقد شرعنا لها طريقا لاينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار تقريظا لكتاب تحرير المرأة ، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاخوال ، وأولاد الاخوة والاخوات ، وبقضاء الازواج أوقات فراغهم مع نسائهم في البيوت ، فلماذا يترك هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين ؟

وأما المجامع العامة فقلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كاحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مفاسد:

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغوائهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل ماهم ، وأكثرهم — ولا كثرة فيهم — لا يحب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للاصلاح الخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ؟؟؟

الى متى نغش أنفسنا ، ونتعامى عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابتتنا ، الذي لم يزدد مع تربية التفرنج الا تفاقما واستشراء ؟ أنبذل هذه الصبابة الباقيـة لنسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسمي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس» كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادي الفنون، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون اللهج بذمها من شعائر الوطنية الصادقة، فمن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم يمسون و يصبحون كلا على الأمة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يأكلون ثمرات أعمالهم، ويفسدون مابقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والادب والاصلاح، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية، ولم يبدلها بها روابط خيرا منها ولا مثلها

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النشء بتربية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وادارة البيوت — وأنما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة دينا وعقلا وأدبا بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا أولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ماترك سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرنجين الذين أصابوا حظا من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلا من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غرورا بأنفسهم ، واحتقارا لأمر أمتهم ، فطفقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

المباينة بين الجامدين والمتفرنجين عظيمة ، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه ، ويعده علة لضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، ويَنفرون ويُنفّرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،